التنظيرات والنقد فى الادب العربى
السنة الاولى، العدد ٢، صيف ١٤٠٠
صص ٦٦ – ٣٩

توظيف الهرمنوطيقا النسوية فى تأويل الكتاب المقدس[١]

إليزابث شوستر فيورنتسا – المترجمة: سمية السادات طباطبائي[٢]

تاريخ الوصول: ١٤٠٠/٠١/١٤
تاريخ القبول: ١٤٠٠/٠٦/١٧

الملخص:

إنّ الحديث عن العلاقة بين لاهوت التحرير وتفسير الكتاب المقدس بصفة عامة، والبحث في الدور الذي يلعبه الكتاب المقدس في كفاح النساء من أجل التحرر بصفة خاصة، لهي أمور تشبه الدخول في حقل ألغام فكرى و عاطفى. يجب علينا أن نعين ونكشف التناقضات الواقعة بين التأويل التاريخي و علم اللاهوت المنهجية بين البحث العلمي المجرد من الاعتبارات القيمية والدراسات النابعة من موقع الدعم والمساندة، بين التصورات الموضوعاتية الكونية المسبقة في اللاهوت الأكاديمي والانحياز النقدي في لاهوت التحرير، ويتطلب تحقيق ذلك في مقالة قصيرة بالضرورة عملية تبسيط وتصنيف سطحي لمجموعة مركبة من القضايا اللاهوتية.

إن إثارة قضية معنى الكتاب المقدس وحجيته المعاصرين من منظور لاهوتى نسوى، و القيام بذلك من موقع المرأة المهمش داخل المؤسسة الأكاديمية[١]، لهو أمر يفتح الباب لمخاطرة ثلاثية الأبعاد. فلسوف يرفض اللاهوتيون والمفسرون المنتمون إلى المؤسسة الأكاديمية ذلك المسعى بدعوى أنه غير علمى و منحاز ومحكوم بشكل واضح بقضايا معاصرة، مما يجعله غير تاريخي، أو سيرفضون قبوله بوصفه قضية تفسيرية أو لاهوتية جادة بسبب أن إمرأة هي التي أثارت تلك القضية. ولسوف يرى اللاهوتيون التحريريون والسياسيون في أحسن الأحوال أن ذلك المسعى النسوي اللاهوتي يشكل قضية واحدة ضمن قضايا أخرى، أو يعثونه في أسوأ الأحوال قضية الطبقة الوسطى، أي قضية بعيدة عن مجال كفاح المقهورين.

الكلمات المفتاحية: الهرمنوطيقا؛ النسوية؛ تأويل الكتاب المقدس.

---

[١] هذه المقالة ترجمة من:

Elisabeth Schuessler Fiorenza, "Towards a Feminist Biblical Hermeneuties: Biblical Interpretation and Liberation Theology." in The Challenge of Liberation Theology: A First World Response, eds. Brian Mahan and L. Dale Richesin (New York: Orbis Books, ١٩٨١). ٩١-١١٢.

[٢] أستاذة مساعدة فى جامعة كوثر بجنورد (sst١٣٦٣@yahoo.com)

نصّ المقالة:

كيف لنساء بيضاوات ينتمين إلى الطبقة الوسطى أن يقلقن بشأن التعديلات الداعية إلى المساواة في الحقوق أو بشأن تحديد جنس الله، بينما يموت الناس جراء المجاعات، أو يتعرضون للتعذيب في السجون، أو يهلكون تحت مستوى الفقر في التجمعات الخانقة لأقليات من السود والهسبانيين في المدن الأمريكية؟ ولكن مثل هذا الاعتراض على اللاهوت النسوي و على الحركة النسوية يغفل حقيقة أن النساء والأطفال الذين تعولهم النساء يشكلون أكثر من نصف تعداد الفقراء والجوعي في العالم[٢]. فالنساء والأطفال لا يشكلون أغلبية المقهورين فحسب، ولكن النساء الفقيرات ونساء العالم الثالث يعانين من القهر الثلاثي المتمثل في التمييز الجنسي والتمييز العرقي والتمييز الطبقي. وإذا كان اللاهوتيون التحريريون يتخذون خيار الانحياز للمقهورين نواة لمساعيهم، فعليهم إذن أن يعوا حقيقة أن هؤلاء "المقهورين هم النساء".

إذن، لا يطالب اللاهوت النسوي اللاهوت الأكاديمي بأخذ فرضياته الفكرية المسبقة مأخذ الجد فحسب، بل يدعو أيضا أشكال لاهوت التحرير الأخرى إلى أن تترجم خيار الانحياز للمقهورين إلى صور ملموسة، وأخيرا، لا تكتفى الباحثة اللاهوتية النسوية بالاعتراض على الموقف المحايد والموضوعي الذي يفترضه الباحث اللاهوتي الأكاديمي، ولكن عليها أيضا أن تطور من مفهوم موقع الدعم والمساندة في لاهوت التحرير الذي ياتي في صورة الخيار الأنحياز للمقهورين. ولا يعد انخراطها في لاهوت التحرير صورة من صور "الغيرية" أو الاهتمام بالآخرين، ولكنه نابع من مواجهتها وتحليلها القهر الواقع عليها هي نفسها بوصفها امرأة داخل مؤسسات ثقافية ولاهوتية تمارس التمييز الجنسي ضدها. وهكذا، لن يسعها بعد مواجهة أبعاد القهر الواقع عليها أن تواصل دعمها للموقف الأكاديمي المتصف بالتباعد والتجرد من الانحيازات القيمية. بمعنى آخر، تختلف خبرات القهر لدى اللاهوتيات النسويات –على سبيل المثال – عن خبرات اللاهوتيين في أمريكا اللاتينية الذين لا ينتمون في الغالب إلى الفقراء ولكنهم جعلوا من المقهورين قضيتهم[٣]. إن تأكيد الفوارق بين اتجاهات مختلفة في اللاهوت لهو أمر مهم. فلقد أشار روبرت ماكافى براون (Robert McAfee Brown) إلى "أن ما نراه يتوقف على الموقع الذي نقف فيه"[٤]. وقد نبهت فاين ديلوريا (Ville De loria)[٥] عالمة اللاهوت التي تنتمي عرقيا إلى سكان أمريكا الأصليين، إلى أن أحد سبل الانقضاض على لاهوت التحرير والاستحواذ عليه هو تصنيف الأقليات جميعها تحت بند الأقليات التي تعاني من القهر وتحتاج إلى التحرر، وغالبا ما يضيف اللاهوتيون المسيحيون إلى ذلك فكرة أننا جميعنا واقعون في الخطيئة، وعليه نكون جميعنا مقهورين بالقدر نفسه،

الرجال والنساء، السود والبيض والحمر على حد سواء. وبالتالي فإن المؤسسة الليبرالية، من جراء استحواذها على تعبير "القهر"، وبالتالي تعميمه بشكل واسع يفقده معناه، تنجح في تحييد بعض الجهود الساعية إلى تحليل القهر. وهي بذلك تحظر على الجماعات المقهورة صياغة أهداف تحررها و استراتيجيات ذلك التحرر. وهكذا، يبدو من غير اللائق منهجيا الحديث بشكل تعميمى عن القهر أو عن لاهوت التحرير بصيغة مفردة.

موقع الدعم والمساندة في لاهوتات التحرير

يؤدي ذلك الفهم إلى تبعات مهمة في صياغة المقاربة المنهجية المستخدمة في هذه المقالة. فبدلا من التساؤل عن أسس لاهوت التحرير في الكتاب المقدس بصفة عامة، أو طرح تقييم نقدي لتلك المناهج من وجهة نظر منهجية ونقدية تاريخية "أرفع مقاما"، فقد قررت التركيز على قضية واحدة تمثل خلافا بين ما يطلق عليه اللاهوت الأكاديمي وكافة أشكال لاهوت التحرير. إن الفهم الأساسي للاهوتات التحرير ونقاط انطلاقها المنهجية يتمثل في فكرة أن اللاهوت يتخذ دائما بوعي أو دون وعي، موقفا ملتزما مع أو ضد المقهورين، إذ تصبح الحيادية الفكرية أمرا مستحيلا في عالم تاريخي يعج بالاستغلال والقهر. وإذا كان الوضع كذلك فلا يمكن للاهوت أن يتحدث عن الوجود الإنساني بصفة عامة أو عن لاهوت الكتاب المقدس بصفة خاصة دون أن يحدد هؤلاء الذين يتناول وجودهم الإنساني وهؤلاء الذين تتحدث النصوص والرموز الإلهية في الكتاب المقدس عن وجودهم الإنساني.

ويشكل موقف الدعم والمساندة المعلن الذي تتبناه الدراسات اللاهوتية التحريرية نقطة خلافية كبرى بين اللاهوت الأكاديمي التاريخي النقدي أو الليبرالي – المنهجي من ناحية، ولاهوت التحرير من ناحية أخرى، فعلى سبيل المثال، لا تعد الكثير من الدوائر التأويلية واللاهوتية التفسير النسوي للكتاب المقدس أو إعادة صياغة مفاهيم المسيحية المبكرة موضوعات لاهوتية و تاريخية ذات ثقل يليق بالدراسات اللاهوتية الأكاديمية الجادة. ولأن مثل ذلك المنهج التفسيري النسوي يأتي مدفوعا بالحركة النسائية ويعترف علنا بولائه لها، فإن اللاهوتيين الأكاديميين يعدونه "بدعة وقتية" رائجة، ويرون أنه لا يشكل قضية تاريخية –لاهوتية مهمة في الدراسات التاريخية –النقدية". ذلك المنهج التفسيري يأتي نتيجة أحكام مسبقة ناجمة عن موقع الدعم والمساندة الذي تتبناه الباحثة أو الباحث، فإن أي بحث علمي مجرد من الاعتبارات القيمية يصبح ضربا من المستحيل. وهكذا، يصبح من الصعب على الكثيرين اعتبار أية باحثة تتبني علنا "قضية نسوية" في مجالات اللاهوت والمجتمع باحثة "جادة"، أو كما علقت إحدى زميلاتي بشان أستاذة قامت بكتابة مقالة تتصف

بقدر كبير من الاعتدال عن النساء في العهد القديم: «يا للخسارة! لعلها تسببت في تدمير مستقبلها المهني كله بكتابتها تلك المقالة».

إن المفهوم الذي تتبناه الدراسات التاريخية النقدية، الذي يرى أن كل الدراسات التفسيرية يجب أن تكون وصفا تاريخيا للماضي موضوعيا ومجردا من اعتبارات القيمة، يغفل في الواقع حقيقة أن دراسات الكتاب المقدس بوصفها دراسات دينية مرجعية هي في ذاتها دراسات "ملتزمة"، ذلك أن الكتاب المقدس لا يعد فقط وثيقة تاريخية لزمن منصرم، بل يمثل كذلك نصوصا مقدسة في المجتمعات المسيحية المعاصرة[۷]. ويتميز المفسر أو اللاهوتي الذي يدرس الكتاب المقدس عن مؤرخ العصور القديمة بأنه لا يقصر بحثه أبدا على المعنى التاريخي لنص ما، ولكنه أيضا يثير قضية دور الكتاب المقدس وسلطته في العصر الحالي. وعليه، فإن الطرح القائل بأن "الهرمنوطيقا التي تعطي امتيازا للمقهورين"[۸]، أو الاهتمام النسوي بدور المرأة في العهد الجديد يمثلان التزاما أو انحيازا مبالغا فيه، ينسحب كذلك على كافة دراسات الكتاب المقدس بوصفها دراسات للكتاب المقدس، ولا يقتصر فقط على دراسة اللاهوتين التحريريين للكتاب المقدس واستخداماتهم له. وترتبط دراسات الكتاب المقدس بوصفها دراسات دينية مرجعية بموقعها في السياق الحياتي (Sitz im Lehen) داخل الكنيسة المسيحية في الماضي والحاضر على حد سواء، ولا يعدو التحليل النسوي للكتاب المقدس كونه أحد الأمثلة على دراسة الأمور الدينية داخل سياقها، و على الالتزام اللاهوتي في دراسات الكتاب المقدس بصفة عامة.

ويدرك شوبرت أوجدن (Sitz im Lehen) تلك الحقيقة، ولكنه يرفض في الوقت ذاته موقف الدعم والمساندة في لاهوت التحرير، إذ يرى أن كافة لاهوتات التحرير معرضة لخطر أن تتحول إلى أيديولوجيات بالمفهوم الماركسي، وذلك لأنها، وهي في ذلك مثل كافة المشروعات اللاهوتية الأخرى عبارة عن "عقلنة لمواقف تم اتخاذها مسبقا"[۹]. وبدلا من أن تقوم اللاهوتات باعمال التفكير النقدي في مواقفها نفسها فإن ما تفعله هو أنها تعنى بتحليل مواقف المقهورين. وليس مواقف من يمارسون ذلك القهر. ولهذا، فإن محاولة تلك اللاهوتات تحليل مبادئ الدين المسيحيى القبلية، وخيار تلك اللاهوتات الانحياز للمقهورين، يجعلانها تقوم بدور الشاهد لا الباحث اللاهوتي. يرى اللاهوتيون التحريريون في أمريكا اللاتينية أن اللاهوت بوصفه فعلا تاليا (second act) لا يوجد من أجل ذاته، ولكن لكي يكون شاهدا على الكنيسة، أي على الممارسات التي سوف تؤدي إلى تحررها.

وهنا، ينبغي أن نتساءل عما لو كان ذلك القول يقدم وصفا ملائما "لموقع الدعم والمساندة" عند اللاهوتيين التحريريين. يرى شوبرت أوجدن أن الطريق الوحيد أمام تحرير اللاهوت، سواء كان لاهوتاً أكاديمياً أو تحريرياً، هو أن يعد مهمته الأساسية إخضاع موقفه ذاته التفكير النقدي. ومن هنا، يعكف شوبرت أوجدن على صياغة "لاهوت تحريري أكثر ملائمة مما توصل إليه أي منهم". ولكننا نجد أن شوبرت أوجدن لا يخضع الموقف السياسي و المعاني المتضمنة في فكره اللاهوتي التركيبي ذاته للتفكير النقدي، بل نجده يتحدث عن "لاهوت النساء" ويبحث في "كينونة الله في ذاته" كما لو أنه لم يدرس اللاهوت النسوي من قبل.

وبينما يتهم شوبرت أوجدن اللاهوتيين التحرريين بالمغالاة في "ضيق الأفق في فهم العبودية" نجد جيمز كون (James Cone) على العكس يؤكد أن خيار الانحياز للمقهورين يجب أن يصبح نقطة انطلاق كافة أشكال اللاهوت: «إذا كان اللاهوت المسيحي عبارة عن شرح مطول لما تعنيه بشارة الإنجيل لعصرنا الحالي، ألا ينبغي إذن أن يتخذ اللاهوت من التحرر نقطة انطلاق له، وإلا تعرض لخطر أن يتحول في أحسن الأحوال إلى مجرد كلام فارغ، أو تجديف وأستخفاف بالمقدسات في أسوأ الأحوال؟»[۱۰] وينبغي ألا نصنف تلك الصيغة الاستفزازية على أنها مجرد "تعبيرات بلاغية"[۱۱]، بل يجب اعتبارها مؤشرا على اختلافات لاهوتية خطيرة في فهم مهمة اللاهوت ووظيفته.

ولهذا الاختلاف حول وظيفة اللاهوت وهدفه انعكاسات خطيرة على طريقة فهم اللاهوتيون لمهمة تفسير الكتاب المقدس. وبصفتي لاهوتية نسوية فقد تبنيت "موقع الدعم و المساندة"، ولكنني في الوقت نفسه لا أرى أن ذلك الموقف يمنعني من أن أضع موقفي النسوى قيد "التأمل النقدي". ولا يجب الاكتفاء باعمال ذلك التأمل النقدي في موقع الدعم والمساندة الذي يتخذه اللاهوتيون التحريريون، بل يجب أيضا أن يمتد إلى الطرق التي استخدمها الشراح واللاهوتيون في فهم العلاقة بين ماضي الكتاب المقدس ومعانيه، والطريقة التي شرحوا بها الفكرة المأخوذ بها في اللاهوت المسيحي التي تقول بأن للكتاب المقدس سلطة ودورا في حياة المسيحيين المعاصرين.

ويشير التأمل النقدي أولا إلى أن التفسير اللاهوتي و تفسير الكتاب المقدس قد اتخذا دائما موقع الدعم والمساندة دون إخضاع ذلك الموقع للتأمل النقدي. إذن، لا يعد موقع الدعم والمساندة هذا حكرا على اللاهوتات التحريرية. ثانيا، لقد اخترت أن أناقش مثالين محددين من أمثلة هرمنوطيقا لاهوت التحرير، حتى أستطيع اعمال التفكير النقدي في الوظيفة التي يقوم بها موقع الدعم والمساندة الذي يلتزم به بوضوح

اللاهوتيون التحريريون في سياق تفسير هم اللاهوتى للكتاب المقدس. ويعد ذلك أمرا ضروريا، إذ إن اختصار كافة أشكال مواقع الدعم والمساندة وكل تحليل لبني القهر الفعلية تقوم به اللاهوتات التحريرية إلى مستوى واحد مشترك يعد من الأخطاء المنهجية، وسوف أقدم طردا مفاده أن اللاهوتات التحريرية، بفضل اختيارها لجماعات مقهورة بعينها مثل النساء أو سكان أمريكا الأصليين، عليها أن تعمل في إطار منهج شامل للاهوت التحريري النقدي، حتى تستطيع أن تنتج نماذج تفسيرية كشفية تتلاءم مع أشكال قهر معينة. باختصار، يجب أن يصبح تفسير الكتاب المقدس الذي يقدمه اللاهوتيون التحريريون أكثر تحديدا و "أضيق أفقا"، وذلك قبل أن نحاول صياغة "بناء شامل" لنماذج تفسيرية متعددة والوصول إلى صيغة أكثر شمولا لمهمة لاهوت التحرير النقدي. تقدم لنا تصنيفات تي إس كون[۱۲] (T. S, Kuhn) للمنظومة العلمية والنماذج الكشفية التي تكونت في سياق المناقشات المنهجية للعلوم الطبيعة، إطارا نظريا مفاهيميا يفسح مكانا لموقع الدعم والمساندة الذي تتخذه اللاهوتات التحريرية ولمقارباتها التفسيرية. ويرى تي إس كون أن تلك المنظومة تمثل منهجا بحثيا مترابطا، كما أنه تخلق جماعة بحثية مترابطة. ولأن المنظومات تحدد رؤية العلماء للعالم وفهمهم للمشكلات النظرية، فإن تغيير المنظومة يعني أيضا حدوث تحول في خيال العلماء، مما يستدعي بدوره "تحولا فكريا" يتيح لجماعة العلماء رؤية "البيانات" القديمة من منظور جديد تماما. وقد تظل المنظومات المختلفة لفترة من الوقت في حالة تنافس من أجل الحصول على ولاء جماعة العلماء، حتى تحل إحدى المنظومات محل الأخرى أو تفسح المكان لمنظومة ثالثة.

وتتضح لنا أهمية هذه النظرية في دراسات الكتاب المقدس والدراسات اللاهوتية بصفة عامة و في الموضوع الذي نناقشه هنا بصفة خاصة، إذ أنها توضح الطبيعة الشرطية لكل أشكال البحث العلمي، وترى استحالة وجود لغة بحث محايدة أو موقف متجرد من اعتبارات القيمة. تتطلب كل الاستقصاءات العلمية الالتزام بمنهج بحثي معين، في حين يقوم بها مجموعة من الباحثين يكرسون أنفسهم لذلك المنظور النظري. وعلاوة على ذلك، تساعدنا هذه النظرية على إدراك أن المناهج اللاهوتية، مثلها في ذلك مثل كل النظريات العلمية الأخرى، لا يثبت زورها بل تحل محلها نظريات أخرى، ليس لأننا نعثر على معطيات جديدة، ولكن لأننا نكتشف طرقا جديدة لدراسة المعطيات والمشكلات القديمة. وعلى هذا، لا تنفي المنظومات البحثية بالضرورة بعضها البعض، بل يمكنها التواجد جنبا إلى جنب حتى تحل محلها في النهاية منظومة جديدة.

منظومات تفسير الكتاب المقدس

يعكس الجدل الدائر حول موقع الدعم والمساندة في لاهوت التحرير وموقف اللاهوت الأكاديمي المتحرر من الاعتبارات القيمية تحولا في المنظومات اللاهوتية. ولأن الكتاب المقدس بوصفه نصوصا مقدسا يعد كتابا تاريخيا، ولكنه يمارس في الوقت ذاته سلطة ودورا في حياة المسيحيين اليوم، فقد أنتجت الدراسات اللاهوتية منظومات مختلفة لإزالة التوتر القائم بين طبيعة الكتاب المقدس التاريخية وطبيعته اللاهوتية[١٣]. تقدم المنظومة الأولى، والتي سأطلق عليها اسم المنظومة العقائدية فهما للكتاب المقدس في إطار الوحي الإلهي والسلطة المرجعية. وتعني تلك المنظومة بالبحث في زعم المصداقية والسلطة والمعنى التي يمثلها الكتاب المقدس للعقيدة المسيحية اليوم، وهي تنظر إلى سلطة الكتاب المقدس من منظور لا تاريخى ودوغماطيقي، وتؤكد في أكثر صورها اتساقا الوحي اللفظي والعصمة الأدبية في الكتاب المقدس. وعليه، فإن الكتاب المقدس في إطار ذلك الفهم لا يبلغ كلام الله فحسب، بل إنه هو كلام الله. أي أنه ليس مجرد تسجيل للوحي ولكنه الوحي ذاته. وعليه، فإن الكتاب المقدس يؤدي دور النص الدال، أو "المبدأ الأول"، أو المعيار الذي يشكل ولا يتشكل، و عليه، فبالإمكان إزالة التضارب بين معنى الكتاب المقدس المعاصر ومعناه التاريخي باللجوء إلى المجاز، أو بدراسة الرموز، أو بالتمييز بين معاني النصوص المقدسة الحرفية ومعانيها الروحانية ويعد التدليل من النص (proof-texting)أوسع تلك الوسائل استخداما، ويستخدم في تقديم الحجج أو الدفوع اللاهوتية المطلقة لدعم موقف تم اتخاذه مسبقا. والصيغة المعروفة لذلك هي: «النصوص المقدسة تقول، إذن...» أو «وتعزز النصوص المقدسة ذلك الطرح». ويفترض التدليل من النص مسبقا أن الكتاب المقدس يقدم حقائق و مبادى سرمدية يمكن فصلها عن السياق التاريخي الذي تعبر عنه، وبهذا، تنحصر أهمية ما يرد في الكتاب المقدس للاهوت في كونها مصدرا "للتدليل من النص" أو "مبادئ" يمكن أن ينظر إليها بمعزل عن سياقها التاريخي، وتقوم نصوص الكتاب المقدس بدور التبرير التاريخي للاهتمامات الأخلاقية والعقائدية و المؤسسية في المجتمع المسيحي. وقد يصبح لاهوت التحرير عرضة للوقوع تحت سيطرة "التدليل من النص" أو المنهج الرمزي لو أنه حصر اهتمامه وبصورة مثالية في نصوص بعينها من الكتاب المقدس، مثل نصوص سفر الخروج أو نصوص نبوية تندد بالأغنياء في إنجيل لوقا ٤: ٣٠-١٦ أو "الدينونة الأخيرة" في إنجيل متى ٢٥: ٣١-٤٥.

أما المنظومة الثانية فهي منظومة التأويل التاريخي- النقدي، والتي ظهرت لمواجهة الاستخدام الدوغماطيقي للنصوص المقدسة والسلطة العقائدية للكنيسة. وقد ربطت تلك المنظومة هجومها على المنظومة العقائدية بفهم

للتأويل و التاريخ يتميز بالموضوعية والتحرر من اعتبارات القيمة، كما يتميز بالعقلانية والمنهج العلمي. ولأن التأويل التاريخي –النقدي مبني على نموذج العلوم الطبيعية، فإنه يسعى إلى الوصول إلى قراءة موضوعية خالصة للنصوص، وإلى تقديم علمي للحقائق التاريخية. وبصفته تأويلا علميا موضوعيا، فإنه يطابق بين الصدق اللاهوتي والحقية التاريخية. ويرى جيمز بار (James BarT) أن في تلك المنظومة:

«يتم تناول وتقييم إحدى روايات الكتاب المقدس حول حدث ما بحسب تطابقها مع الواقع الخارجي في المقام الأول، وليس بحسب دلالتها. فالصدق بمعنى التطابق مع الواقع المعيش له أولوية على الصدق بمعنى الدلالة»[۱۴]

وبالرغم من أن المنحى الأكاديمي التاريخي النقدي قد أضحى ينظر بعين الشك إلى الفهم الموضوعاتي – الواقعي لنصوص الكتاب المقدس، فهو لا يزال يتمسك بمبدأ المنهج المحايد المتجرد من اعتبارات القيمة. وفي حين تتحرى الدراسات الأكاديمية التاريخية– النقدية أقصى قدر من الدقة في فهم المعنى التاريخي للكتاب المقدس، فإنها، وبدافع اعتبارات منهجية، تأبى أن تناقش دلالات نصوص الكتاب المقدس لجماعة المؤمنين في العصر الحالي. ولهذا، يقتصر التفسير الأكاديمي للكتاب المقدس على البحث التاريخي والأدبي، ولكنه لو أردنا تحري الدقة المتناهية ليس بحثا لاهوتيا.

ينبغي على اللاهوتيين التحريريين بالطبع أن يبتعدوا عن ذلك الفهم لتفسير الكتاب المقدس، إذ إنهم معنيون بأهمية الكتاب المقدس في الصراع من أجل التحرر. ولكن من المهم ملاحظة أن خوسيه ميراندا (Jose Mirand) هو من لاهوتي أمريكا اللاتينية وصاحب مؤلفات غزيرة في مجال تفسير الكتاب المقدس و أحد معتنقي ذلك النموذج المولد، يؤكد أن المنهج التاريخي–النقدي يمثل في ذاته منهجا موضوعيا وعلميا ويمكن التحكم فيه. وعندما يخطئ المفسرون الغربيون كثيرا في الوصول إلى معنى النص فذلك لا يعزى إلى المنهج التفسيري ولكن إلى الفكر الإغريقي الذي يتبناه التأويل الغربي و الذي يجب على الأخير نبذه وتبنى قراءة ماركسية للكتاب المقدس مكانه. ولكن يبقى التساؤل حول ما إذا كان الفصل الذي يعتمده خوسيه ميراندا بين الفكر الإغريقي وفكر الكتاب المقدس أمر يمكن القول به حتى الآن، وحول ما إذا كان بمقدور لاهوت التحرير تبني الموقف المتجرد من أعتبارات القيمة الذي يتبناه النقد التاريخي.

وتأخذ منظومة تفسير الكتاب المقدس الثالثة الأفكار المنهجية التي تقدمها الدراسات التاريخية–النقدية مأخذ الجد، في حين تناقش بجرأة الطريقة التي تنظر بها تلك الدراسات إلى مهمتها التفسيرية. ويمكن تبرير وجود تلك المنظومة بالنظر إلى تطورين مهمين مرت بها دراسات الكتاب المقدس: فقد أوضحت مناهج الشكل و

الصياغة (formi and reduction)في النقد أن نصوص الكتاب المقدس هي -إلى حد كبير- ردود على مواقف ومشكلات عملية ظهرت في الشئون الرعوية اليومية، بينما عنيت الدراسات الهرمنوطيقية بالمعنى المعاصر الذي يمكن أن تقدمه نصوص الكتاب المقدس.

أولا: تؤكد دراسات الشكل والصياغة النقدية أن تراث الكتاب المقدس لا يعد نفسه تراثا عقائديا أو تأويليا أو تاريخيا، ولكن تراثا حيا. وحتى نفهم نصوص الكتاب المقدس يجب ألا نكتفي بترجمة نص ما وتفسيره داخل سياقه المباشر، ولكن أيضا أن نعرف ونحدد الموقف والجمهور الذين يخاطبهم النص. و لقد أعاد مؤلفو(authors) العهد الجديد كتابة تراثهم في صورة رسائل أو أناجيل أو إعلانات إلهية لأنهم شعروا أن من واجبهم الديني توضيح أو نقد معتقدات وممارسات مجتمعاتهم. وهكذا، كتبت نصوص الكتاب المقدس بقصد الوفاء باحتياجات جماعة المؤمنين، لا بقصد الكشف عن مبادئ سرمدية، أو تقديم سجل بوقائع دقيقة تاريخيا. ولذا، فهم لا يعينون وحي الكلمة في الماضي فقط، ولكن أيضا في واقعهم هم، مقدمين بذلك فهما جدليا يضم الماضي والحاضر معا. فمن ناحية، نرى دلالة الماضي لأن الوحي قد أعلن بشكل محدد ليسوع الناصري، ومن الناحية الأخرى يمكن لكتاب (writers)العهد الجديد أن يمارسوا حريتهم فيما يتعلق بتراث يسوع، وذلك لأنهم يؤمنون بأن يسوع الذي تكلم في الماضي يخاطب الآن أتباعه من خلال الروح القدس.

ولكن يمكن توجيه النقد لدراسات الشكل و الصياغة بسبب تقديمها تصورا جاهزا للوضع في مجتمعات المسيحية المبكرة، في صورة نزاع عقائدى بين لاهوتات وجماعات مختلفة داخل الكنيسة. وغالبا ما يأتي ذلك التصور مشابها لتاريخ حركة الإصلاح في أوروبا في القرن السادس عشر، أو بما هو وصف لمدينة صغيرة في أمريكا أقيمت فيها وعلى بعد أمتار من بعضها البعض خمس أو ست كنائس تعتنق اتجاهات مسيحية مختلفة.

وتؤكد الدراسات التي تتناول الواقع الاجتماعي لبني إسرائيل والمسيحية المبكرة على أنه لا يكفي أخذ السياق الكنسي وحده في الحسبان، إذ غالبا ما يتشابك الإيمان والوحي في المسيحية مع السياقات الثقافية والسياسية والاجتماعية. ولا يمكن الاكتفاء بفهم نصوص الكتاب المقدس بوصفها مجرد تعبير عن أفكار دينية لاهوتية أو عن نزاعات كنسية؛ المهم هو تحليل سياقات تلك النصوص ووظائفها المجتمعية السياسية. فعلى سبيل المثال، لا يمكن الاكتفاء بتحديد الشكل المجازي للقوانين التي كانت تحكم الأسرة، ولا الأهمية اللاهوتية لتلك القوانين في التقاليد المجتمعية في حقبة ما بعد بولس إذا لم نتساءل كذلك عن سبب تبني تلك المجتمعات لذلك الشكل بعينه وإدماجه في بيئتهم المجتمعية-السياسية[۱۵]. وبينما تفهم المنظومة العقائدية المعجزات على أنها دلائل على

ألوهية يسوع، تبحث المنظومة التاريخية – السياقية فيما إذا كانت تلك المعجزات قد حدثت فعليا بالطريقة التي وردت بها. وبينما تناقش منظومة الشكل والصياغة ما إذا كانت تلك المعجزات تعبيرا دينيا مرتبطا بسياقها الزمني أم أنها تعبير أصيل عن الإيمان في المسيحية، في حين يشير النموذج السياقي إلى انتشار الإيمان المبني على المعجزات في الطبقات الدنيا التي لم يكن أفرادها يملكون المال الكافي للعلاج الطبي. ومن أحسن طرق فهم الإيمان بالمسيح المبنى على المعجزات أن ننظر إليه بوصفه احتجاجا على المعاناة الجسدية والسياسية، يهب الإنسان الشجاعة لمقاومة القوى التي تسعى إلى تدمير الحياة في المجتمع الذي يعيش فيه.

ثانيا: تعني الدراسات الهرمنوطيقية بمعنى نصوص الكتاب المقدس. وبينما يسعى أحد اتجاهات الهرمنوطيقا إلى اكتشاف المعنى التزامنى للنصوص المكتوبة، ذلك المعنى الأنطولوجي والمثالي واللا زمني والعقلي، وذلك بفصله عن السياق التتابعي واللحظي و التواصلي و الشخصي والإشارى، فهناك اتجاه آخر لا يعني كثيرا بلغوية النص بقدر ما يعنى باندماج المفسر في النص. فالمفسر دائما ما يقارب النص مسلحا بأساليب معينة لإثارة التساؤلات، أي بفهم معين للموضوع الذي يدور حوله النص.

وتفهم الدائرة الهرمنوطيقية العلاقة بين المفسر المعاصر و النص التاريخي في صورة حوار متصل يصحح الافتراضات المسبقة التي يحملها المفسر بهدف الوصول إلى معنى النص الحقيقي. وعند هذه النقطة، يصبح من الواضح أن التفسير الحواري (dialogic interpretation) هو المنظومة التي تحكم ذلك النموذج المولد الثالث. وبينما يوضح نقد الشكل والصياغة أن المجتمعات و"المؤلفين" في المسيحية المبكرة كانوا في حوار متصل مع التراث ومع الإله الحي الذي يرخص بذلك التراث، فإن الدائرة الهرمنوطيقية تكمل ذلك الحوار في صورة فعل التفسير. وهكذا، يمكن الجمع بين هذا الفهم الهرمنوطيقى والمسعى اللاهوتي الأرثوذوكسي الجديد، أو كما أوضح إدوارد شيلبيكس (Edward Schillebeeckx) «إن نقطة الانطلاق الواضحة هي الافتراض بأن ما يحمله لنا التراث، وبخاصة التراث المسيحي، له معنى وأهمية، وأنه يتعين استخدام مسعى هرمنوطيقي لفك شفرة المعنى الذي يحمله وجعله واقعا»[١٦].

وختاما: تتبنى منظومات تفسير الكتاب المقدس الثلاث موقفا محددا، وتدين بالولاء إلى منظور بحثى ما، وإلى جماعة ما يتضح ولاء المنظومة العقائدية للكنيسة وتعاليمها، فهي تقيم النصوص ومدى صدقها بمعيار قانون الإيمان. أما منظومة التاويل التاريخي–النقدي العلمية فتتبنى رؤية العالم الموضوعاتية–العلمية، معتنقة عقلانية البحث الأكاديمي النقدية والمتجردة من اعتبارات القيمة. أما المنظومة الهرمنوطيقية – السياقية فتعني بفكرة

"استمرارية" التراث، وعليه فهي تدعو إلى موقف متناسق مع اللاهوت الأرثوذوكسي الجديد، أي أنها تشكل "هرمنوطيقا القبول"(hermeneutics of consent) ويجدر بنا البحث في المصالح السياسية التي تخدمها كل من هذه المنظومات الثلاثة، ولكن ذلك موضوع أكبر من حدود مهمة هذه المقاربة وهدفها. على أية حال، يهدد موقع الدعم والمساندة الواضح الذي تتبناه اللاهوتات التحريرية بالكشف عن المصالح السياسية الخفية لمنظومات تفسير الكتاب المقدس القائمة. وقد يكون ذلك أحد الأسباب الرئيسية التي تجعل اللاهوت الرسمي يرفض إعمال التأمل النقدي في مصالحه المجتمعية–الكنسية وفي وظائفه السياسية.

لاهوت التحرير وتفسير الكتاب المقدس

سوف يحاول الجزء الثاني من هذا البحث تقديم تحليل نقدي الموقع لاهوت التحرير وسط منظومات تفسير الكتاب المقدس القائمة. وسوف أقوم بذلك عن طريق مناقشة منهجين هرمنوطيقيين مختلفين من مناهج لاهوت التحرير. وقد اخترت كدراسة حالة النموذج الهرمنوطيقي لخوان لويس سيجندو (Juan Luis Segundo)بوصفه أحد أكثر مناهج اللاهوت المعاصر تركيبا، بينما وضعت في المقابل له منهج اليزابت كادى ستانتون (Elizabeth Stanton Caly) الذي استخدمته في طرح فكرة إنجيل المرأة. ويوضح كلا المثالين أن اللاهوتات التحريرية قد توصلت إلى منهج ذي معالم محددة لتفسير الكتاب المقدس يهدف إلى إعادة صياغة معايير الخطاب اللاهوتي العام، وبدلا من أن نتساءل عما إذا كان أحد المناهج يليق بالنصوص المقدسة ويلائم وضع البشرية فإننا نحتاج إلى اختبار ما إذا كان نموذج تفسير الكتاب المقدس اللاهوتى ملائما للمناهج التاريخية– النقدية التي ينتهجها التفسير المعاصر وإذا ما كان لائقا بكفاح المقهورين من أجل التحرر.

نموذج خوان لويس سيجندو التفسيري[۱۷]

بينما ينادي المنهج الهرمنوطيقي السياقي بإزالة كل الافتراضات المسبقة وكل أشكال الفهم المسبق من أجل الوصول إلى تأويل وصفى موضوعى، ترى الهرمنوطيقا الوجودية الفهم المسبق هو الأرضية الوجودية المشتركة بين المفسر و مؤلف النص. وقد طعن اللاهوتيون السياسيون في ذلك الخيار الفلسفي الوجودي، بينما تبني اللاهوتيون التحريريون هرمنوطيقا الالتزام بدلا من هرمنوطيقا الحياد. ولأنه من المستحيل تحقيق الحياد أو التجرد من اعتبارات القيمة بشكل تام، فيتعين على المفسر والمفسرة أن تحدد موقعها بوضوح، وأن تتبنى موقع الدعم

والمساندة انحيازا للمقهورين. إن فهم الكتاب المقدس حق الفهم يعني أن نقرأه من خلال أعين المقهورين، ذلك أن الإله الذي يتحدث في الكتاب المقدس هو إله المقهورين. وللوصول إلى تفسير صحيح للكتاب المقدس، من الضروري الاعتراف بما يسمى الامتياز الهرمنوطيقي للمقهورين"، ومن ثم صياغة هرمنوطيقا من القاع.

ولأن اللاهوت يتشابك ضمنيا أو عمليا مع الوضع الاجتماعي القائم، فإن خوان لويس سيجندو يرى أن دائرة البحث الهرمنوطيقي يجب أن تبدأ بمعايشة أو تحليل الواقع الاجتماعي الذي يقودنا بدوره إلى الشك في وضعنا الراهن، وكخطوة ثانية، نقوم بإخضاع اللاهوت وكافة أشكال البنى الأيديولوجية الفوقية الأخرى لذلك الشك الأيديولوجي. وفي المرحلة الثالثة، نعايش الواقع اللاهوتى بطريقة مختلفة، مما يقودنا إلى شك مؤداه أن "التفسير السائد" للكتاب المقدس لم يأخذ في حسبانه عددا من المعطيات المهمة. وفي المرحلة الأخيرة، نستدعي كل تلك الأفكار النستخدمها في تفسير النصوص المقدسة. وعلى أية حال، لن نستطع رؤية مجتمعنا وعالمنا بصورة مختلفة ولا أن نطور منظورا جديدا لرؤية العالم إلا بالتزامنا الفعال بالمقهورين وانخراطنا الفعال في كفاحهم من أجل التحرر. ولو فسرنا العهد الجديد تفسيرا صحيحا سنجده ينادي بتلك الرؤية.

ويعترف خوان لويس سيجندو أن جيمز كون قد صاغ هذا التفسير اللاهوتي التحريري الجماعات السود، كما يعترف بتأثره برودلف بولتمان (Rululf Bultrafin)، ولكنه يعيد صياغة الدائرة الهرمنوطيقية ليجعلها تشتمل على الفعل:

«وتنبع الطبيعة الدائرية لهذا التفسير من أن كل واقع جديد يفرض علينا أن نفسر كلام الله من جديد، وأن **نغير** الواقع تبعا لذلك، ثم نعود ونفسر كلام الله، مجددا، وهكذا»[١٨]

ويتضح هنا أنه لا يسعنا اتهام خوان لويس سيجندو بعقلنة موقف اتخذه مسبقا، فهو لا يعمل في إطار المذهب التفسيري للمنظومة العقائدية، كما نجده يميز بوضوح بين تفسيره اللاهوتى وتفسير الدراسات الأكاديمية النقدية التاريخية برفضه النموذج التطبيق القائم على فكرة التطبيق المعاصر اللوحي الكتابي في فهم الكتاب المقدس. ويرى خوان لويس سيجندو أن تفسير الكتاب المقدس يجب أن ينتج المستوى الثاني لعملية التعلم التي تقودنا إلى الإيمان بالكتاب المقدس. فالإيمان يتطابق مع عملية التعلم في الأيديولوجيا ومن خلالها، أما ردود الأفعال الإيمانية المواقف تاريخية بعينها فهي أيديولوجيات. وهكذا، لا ينبغي أن نعرف الإيمان بأنه محتوى أو مخزن، بل بأنه عملية تعليمية ممتدة على مر التاريخ المسيحي وتاريخ الكتاب المقدس. ففي حين يعبر الإيمان عن استمرارية الوحي الإلهي وديمومته، توثق أيديولوجيات الطبيعة التاريخية للإيمان والوحى. «فالإيمان إذن عملية

تحررية. فهو يتحول إلى حرية التاريخ مما يعني حرية الأيديولوجيات»[١٩]. ويتضح هنا أن خوان لويس سيجندو لا يفهم الأيديولوجيا على أنها وعي "زائف"، ولكن على أنها تعبير تاريخى–مجتمعي.

ويرى خوان لويس سيجندو أنه لا يجب تعريف الإيمان في المسيحية بأنه محتوى أو قواعد أو مبادئ، بل بأنه عملية تعليمية نثق فيها ونأتمنها، «وفي حالة ... الكتاب المقدس، نتعلم أن نثق في العملية التاريخية ونأتمنها على حياتنا و على معنى حياتنا، وهي عملية تنعكس في الأشكال التي يجسدها ذلك "التراث ذاته".[٢٠] وهنا، يتضح أن خوان لويس سيجندو لا يعمل في إطار المنهج العام للمنظومة العقائدية ولا للمنظومة التاريخية المتجردة من اعتبارات القيمة، ولكنه يقدم نموذجا التفسير في إطار المنظومة الهرمنوطيقية– السياقية. وهو يشترك مع الأرثوذوكسية الجديدة في الافتراض الهرمنوطيقي الذي يرى أن تراثات النصوص المقدسة تراثات مهمة، وأنها لذلك تستحق طاعتنا وتطالبنا بما نسمّيه "هرمنوطيقا القبول". ويختلف منهج خوان لويس سيجندو عن لاهوت الأرثوذوكسية الجديدة في أنه لا يرى أن محتوى النصوص المقدسة هو ما ينعكس في الكتاب المقدس في صورة ما هو مهم وتحرري، ولكنه يرى أن المعنى والتحرر يكمنان في عملية أن نتعلم كيف نتعلمه.

ولا يأخذ ذلك الافتراض في الحسبان أنه من الممكن أن يصيب التشويه كلا من محتوى النصوص المقدسة وعملية التعلم على المستوى الثاني. وهنا يجب على خوان لويس سيجندو إما أن يوضح أن الأمر ليس كذلك أو أن يضع تصورا لعملية التعلم تلك بطريقة يصبح معها الدعم و المساندة مبدا مجردا لا يمكن تطبيقه على محتويات الكتاب المقدس. وبمعنى آخر، فإن نموذج خوان لويس سيجننو لا يسمح بتقييم نقدي لاهوتي لأيديولوجيات الكتاب المقدس بوصفها "وعيا زائفاً". وهنا، علينا أن نتساءل عما إذا كان بإمكاننا الفصل بين المحتوى التاريخي والتعلم الهرمنوطيقي، كما لا يمكننا ذلك الفهم من الحكم بما إذا كان نص ما أو فهم ما مناسبا ومفيدا في صراع المقهورين من أجل التحرر. إن إخفاقنا في استخدام التقييم النقدي في التعامل مع نصوص الكتاب المقدس و في التعامل مع عملية تفسير النصوص المقدسة والتراث يعد أحد الأسباب التي تجعل استخدام اللاهوتيين التحريريين للكتاب المقدس يقترب في كثير من الأحيان من منهج "النص الدال". ولكي نتجنب مثل ذلك الانطباع، يتعين على الهرمنوطيقا التحريرية أن تعيد التفكير في حقيقة أن عملية تفسير النصوص المقدسة ليست بالضرورة عملية تحريرية.

هرمنوطيقا إنجيل المرأة

بينما يؤكد اللاهوتيون التحريريون أن الكتاب المقدس سلاح في الصراع من أجل التحرر، ويقولون بأن الإله في الكتاب المقدس هو إله المقهورين، تعتنق الكاتبات النسويات منذ بداية الحركة النسائية في القرن الماضي الفكرة المناقضة التي ترى أن الكتاب المقدس واللاهوت المسيحي كليهما في جوهره منحازان ضد المرأة. وعليه، فإن لهما تأثيرا مدمر في وعي النساء. وهكذا، فإن التفسير التقيحي للنصوص المقدسة واللاهوت إما سيتسبب في تخريب كفاح النساء من أجل التحرر من كل أشكال القهر المبني على التمييز الجنسي، أو سيضطر إلى إعادة تفسير التراث و اللاهوت المسيحيين بطريقة تجردها من كل ما هو "مسيحى".

ولذا، يتعين على اللاهوت النسوي بوصفه لاهوتا نقديا أن يدافع عن نفسه على جبهتين: فبينما نرى اللاهوتيين التحريريين غير راغبين في الإقرار بالاستغلال والقهر الواقعين على النساء، ترى المفكرات التسويات التقدميات أن الوعي النسوي و العقيدة المسيحية يشكلان تناقضا واضحا، فعندما ولدت ابنتنا كرستينا أعلنا عن تعميدها بالمقولة الآتية:

ولدت في عالم يسوده القهر

ولدت في مجتمع يسوده التمييز

ولدت من جديد في كنيسة يسودها التمييز

و تنم ردود أفعال أصدقائنا إزاء هذا الإعلان عن تلك الاعتراضات الموجهة إلى اللاهوت النسوي المسيحي. فقد هز بعض الزملاء وطلاب اللاهوت رؤوسهم سائلين عما إذا كنا نرتب لطقوس عماد ماركسية، بينما أشار بعضهم بسخط إلى المكانة الامتيازية لطفلة مولودة لأبوين مهنيين من الطبقة الوسطى، ولكن إحدى الطالبات النابهات (وكانت تشعر بالاختناق في البيئة الأبوية في كلية نوتر دام ثم أدخلت المصحة فيما بعد لتعالج من انهيار عصبى) واجهتني في الطريق قائلة: كيف تفعلين ذلك بها؟ يستحيل أن تصبح فيما بعد مسيحية ذات التزام ووعي. إن العقيدة المسيحية و الكنيسة يدمر أن شخصية النساء اللاتي يحاربن التحيز ضد المرأة ويعملن من أجل التحرر.

وهكذا، فإن القضية التي يجب أن تواجهها اللاهوتيات النسويات بجرأة هي قضية لاهوتية تأسيسه: هل يشكل كونك امرأة وكونك مسيحية تناقضا أوليا يتعين توفيقه لصالح أحدهما على حساب إقصاء الأخر؟ أم هل بالإمكان الإبقاء على الاثنين في حالة توتر خلاق يجعل كونى مسيحية يساند نضالي من أجل تحرر المرأة،

بينما يعزز كونى نسوية التزامي بأن أعيش بوصفي مسيحية ويعمقه. يتعين على اللاهوت النسوى أن يصوغ تلك الإشكالية في ضوء الكتاب المقدس ووحيه من داخل النصوص
المقدسة ما دام لاهوتا مسيحيا مقيدا بوثائقه المؤسسة (charter documents). ولأن الكتاب المقدس قد استخدم من قبل –ولا زال يستخدم لمجابهة مطالب النساء بالمساواة والتحرر من التمييز الجنسي المجتمعي والثقافي و الكنسي– فيجب على اللاهوت النسوي أن يصوغ تلك المهمة أولا في صورة نقدية قبل أن يبدأ في محاولة صياغة هرمنوطيقا تحريرية. وبينما يشكل موضوع اثبات حجية النص خطورة على لاهوت التحرير، فإن المأزق الذي يجب أن يتجنبه اللاهوت النسوي هو موقف الدفاع عن العقيدة، لأن موقف الدفاع عن العقيدة لا يأخذ المعاني السياسية المتضمنة في تفسير النصوص المقدسة مأخذ الجد.

وقد يقدم لنا الجدل القائم حول انجيل المرأة [٢١] الذي ظهر في عامى ١٨٩٥ و ١٨٩٨ دراسة حالة تمكننا من التعرف على الظروف والتبعات السياسية للتفسير النسوي للكتاب المقدس، و أيضا على تأثير اللاهوت النسوي النقدي والراديكالي على عملية التفسير. وتعرض إليزابث كادي ستانتون مؤسسة المشروع في المقدمة التي كتبتها لأنجيل المرأة فكرتين نقديتين الهرمنوطيقا لاهوتية نسوية. إن الكتاب المقدس ليس كتابا "محايدا"، ولكنه سلاح سياسي ضد كفاح النساء من أجل التحرر. ويرجع السبب في ذلك إلى أن الكتاب المقدس يحمل بصمات رجال لم يروا الله قط ولم يتحدثوا معه.

أولا: تفهم اليزابث كادي ستانتون عملية تفسير الكتاب المقدس على أنها فعل سياسى. وتوضح القصيدة الاتية اقتناعها الشخصي بالتأثير السلبي للمسيحية في وضع النساء. فقد رفضت حضور اجتماع صلاة عقدته المناديات بحق النساء في التصويت، وكان قد بدأ بترنيمة "فلترشدنا طريقنا يا يهوه العظيم" لإيزابيلا بيتشر هوكر (Isabella Beechler Hooker) أما السبب الذي أوردته لرفضها فكان أن يهوه "لم يشارك قط في حركة النضال من أجل حق النساء في التصويت".[٢٢] ولأن خبراتها السابقة تخبرها بأن يهوه لم يقف في صف المقهورين فقد أدركت ما للكتاب المقدس من نفوذ سياسى قوتى. وعليه، أقدمت على مراجعة الكتاب المقدس مراجعة تسعى إلى جمع و تفسير بمساعدة "النقد الأعلى" (higher criticism) كل المقولات التي تشير إلى النساء في الكتاب المقدس. ولكنها في الوقت ذاته اعترفت بأنها لم تنجح تماما في حشد العون من الباحثات لأنهن كن "خائفات من أن يعرضن سمعتهن الرفيعة و إنجازاتهن الأكاديمية للخطر إذا ما شاركن في مشروع قد لا يحظى بالقبول لوقت طويل. ولهذا فقد لا تحصل على العون من تلك الطبقة."[٢٣]

وقد حدث بالفعل أن لم يحظ مشروع إنجيل المرأة بالقبول بسبب المعاني السياسية المتضمنة فيه، فلم يكن فقط أن رأت بعض المناديات بحق المرأة في التصويت أن مثل ذلك المشروع إما غير ضروري أو أحمق من الناحية السياسية، ولكن الجمعية الوطنية الأمريكية لحق المرأة في التصويت رفضته رسميا بوصفه خطا سياسيا. وتلخص اليزابت گادى ستانتون الأراء المعارضة للمشروع في المجلد الثاني الذي ظهر في عام ١٨٩٨ قائلة: "يرفض العدو والصديق معا عنوان الكتاب"، ثم ترد بسخرية لاذعة على اتهام أحد رجال الدين الذي قال إن إنجيل المرأة هو "من عمل النساء والشيطان":

"إن ذلك خطأ كبير. إن جلالته الشيطانية رفض الانضمام إلى لجنة المراجعة التي اقتصرت على النساء، ثم إنه كان منشغلا في الأعوام الأخيرة بحضور اجتماعات المجمع الكنسي والجمعيات العمومية والمؤتمرات بغرض التعتيم على وجود وفود النساء بحيث لم يتوفر لديه الوقت لدراسة اللغات و النقد الأعلى".[٢٤] وبالرغم من أن مناهج "النقد الأعلى" و أفتراضاته اللاهوتية في ذلك الوقت لم تعد مستخدمة اليوم، فلا تزال أهداف التفسير النسوي وطروحه السياسية للكتاب المقدس سارية حتى الآن. وقد قدمت إليزابت گادى ستانتون عرضا لها في مقدمة المجلد الأول، حيث قدمت ثلاثة أسباب تبين ضرورة تلك المراجعة والتفسيرات العلمية النسوية الموضوعية للكتاب المقدس:

١– لقد استخدم الكتاب المقدس على مر التاريخ وبخاصة الآن – بهدف إبقاء النساء رهن الخضوع وإعاقة تحررهن.

٢– إن الرجال ليسوا فقط هم من يؤمنون بالكتاب المقدس بوصفه كلام الله، ولكن النساء أيضا من أخلص المؤمنين بذلك، و إن للكتاب المقدس سلطة روحية ليس على الرجال فقط بل على النساء أيضا.

٣– لا يمكن تحقيق الإصلاح في جانب من جوانب المجتمع إذا لم يشمل الإصلاح كافة الجوانب الأخرى. فليس بإمكاننا إصلاح القانون والمؤسسات الثقافية الأخرى دون إصلاح المعتقدات الدينية القائمة على الكتاب المقدس التي ترى في الكتاب المقدس نصوصا مقدسة. ولأن كل أشكال الإصلاح تعتمد على بعضها البعض، يعد التفسير النسوي النقدي مشروعا سياسا ضروريا، حتى وإن لم يكن هذا هو الوقت المناسب له. وإذا كانت النسويات يعتقدن أن بإمكانهن إهمال مراجعة الكتاب المقدس لأن هناك قضايا سياسية أكثر إلحاحا، فإنهن إذن لا يدركن مدى التأثير السياسي القوي للنصوص المقدسة في الكنائس وفي المجتمع وفي حياة النساء كذلك.

ثانيا: تدعو إليزابث كادي ستانتون إلى عملية المراجعة النقدية للكتاب المقدس في إطار "النقد الأعلى". ولهذا، تتطابق أفكارها مع نتائج الدراسات التاريخية للكتاب المقدس في الفترة التي كانت تكتب فيها. فهي إذن تعارض الفهم الحرفي للكتاب المقدس على أنه كلام الله، وتؤكد أن الكتاب المقدس كتب بواسطة رجال و إنه يعكس المصالح الذكورية الأبوية. "إن النقطة الوحيدة التي أختلف فيها مع التعاليم الكنسية هي أنني لا أصدق أن أي رجل كان قد رأى الله أو تكلم معه".[٢٥] وبينما تقول الكنائس أن تلك الأفكار المهينة والمتعلقة بالأحكام الأبوية ضد النساء آتية من عند الله، ترى إليزابث كادي ستانتون أن كافة تلك النصوص والأفكار المهينة إنما هي آتية من رؤوس الرجال. وهي ترى أيضا أن اللجنة التي شكلتها قد عبرت عن تبجيل و احترام أكبر لله مما يعبر عنه رجال الدين أو الكنيمة، بأن تعاملت مع الكتاب المقدس بوصفه عملا إنسانيا لا بوصفه أداة سحرية، بأن رفضت فكرة أن المقولات السلبية عن المرأة في الكتاب المقدس هي وحي إلهي، وهي تسلم بأن بعض تعاليم الكتاب المقدس لا تزال ملزمة حتى اليوم، مثل وصية المحبة أو الوصية الذهبية. ولأن تعاليم الكتاب المقدس و دروسه تختلف عن بعضها البعض، فإنه لا يمكن قبول الكتاب المقدس أو رفضه ككل. وعليه، لا بد من أعمال الدقة في تحليل كل فقرة تتناول النساء وتقييم تأثيرها في كفاح النساء من أجل التحرر.

وفي النهاية: بالرغم من أن الاعتبارات المنهجية تحتم علينا اليوم رفض فكرة إنجيل المرأة الذي يحتوي فقط على النصوص التي تتناول النساء في الكتاب المقدس، فإن دراسات الكتاب المقدس بصفة عامة قد أثبتت صحة أفتراض إليزابث كادى ستانتون الجدل القائل بوجوب دراسة الكتاب المقدس بوصفه عملا إنسانيا، وبأن تفسير الكتاب المقدس يتأثر بمصالح المفسر و بقناعاته اللاهوتية. ونرى أن مفسرات الكتاب المقدس المعاصرات، وهن في ذلك مثل بعض صديقات إليزابث كادي ستانتون من الداعيات إلى حق المرأة في الانتخاب، إما يرفضن تفسير الكتاب المقدس الذي يرينه يشكل مشروعا نسويا ميئوسا منه، وذلك لأن الكتاب المقدس منحاز تماما ضد المرأة، أو يحاولن الدفاع عنه في مواجهة ناقداته من التسويات الثوريات، وهن في ذلك يتبعن فرانسيس ويلارد (Frances Williard) التي قدمت طردا مضادا للقراءة النقدية الثورية المتمثلة في انجيل المرأة مفاده أن التفسير الأبوي المعاصر للكتاب المقدس هو الذي يدعو إلى إخضاع النساء وليست رسالة الكتاب المقدس ذاتها:

أعتقد أن الرجال قد خلعوا على الكتاب نظرياتهم الأنانية الخاصة، وأن اللاهوتيين السابقين لم يدركوا بدرجة كافية الطبيعة التقدمية لرسالته، ولا استطاعوا التمييز بصورة مناسبة بين نصوصه بوصفها تاريخا وبين مبادئه

الأخلاقية والدينية. ويعد ذلك الفهم الذي يرى أن تفسيرات الكتاب المقدس لا بد أن "تتخلص من طبيعتها الأبوية" فهما مهما، ولكن يجب ألا ننظر إلى ذلك الفهم النقدي على أنه دفاع اعتذاري يؤكد طبيعة تعاليم الكتاب المقدس اللا أبوية فيما يتعلق بالأخلاق والدين. إن طرح إليزابث گادي ستانتون النقدي يرى على وجه التحديد أن الكتاب المقدس لم يتعرض لسوء الفهم فحسب، بل إن محتوياته ورؤاه استخدمت في الصراع السياسي ضد النساء. ويجب استخدام ما يقوله جستافو جوتييريز(Gustav Gutierrez) عن كتابة التاريخ الإنساني بصفة عامة في تناولنا لكتابة الكتاب المقدس:

"لقد كتب التاريخ الإنساني بيد رجل، يد بيضاء تنتمي إلى الطبقة الاجتماعية المهيمنة أما منظور المهزومين في التاريخ فهو شيء أخر. فلطالما تعرض هؤلاء المحاولات محو ذكرى أشكال كفاحهم من أذهانهم. وذلك لتحقيق حرمانهم من أحد منابع الطاقة ومن الإرادة التاريخية التي تؤدي إلى التمرد".[٢٦]

وإذا ما قارننا موقف إليزابث كادى ستانتون الهرمنوطيقى بموقف خوان لويس سيجندو سنجد أنها لم تقبل فهمه لفكرة الطبيعة التحريرية لعملية المستوى الثاني للتعلم في التاريخ المسيحي، وذلك على وجه التحديد لأنها تتفق معه في موقع الدعم والمساندة من أجل المقهورين". لا يمكن لإليزابث كادي ستانتون أن تبدأ بالتصديق على أن الكتاب المقدس ورب الكتاب المقدس يقفان في صف المقهورين، وذلك لأن خبرتها باستخدام الكتاب المقدس بوصفه سلاحا سياسيا ضد نضال النساء من أجل الحصول على حقوقهن الانتخابية ثخبرها بغير ذلك.

وتنبة ردود الأفعال اللاحقة على انجيل المرأة اللاهوتيين التحريريين إلى أن أي تفسير الكتاب المقدس يلجا باستسهال إلى الدفاع عنه قد يؤدي إلى سوء فهم لموقع الدعم والمساندة من أجل المقهورين الذي يتبناه الكتاب المقدس نفسه. إن السعي إلى إثبات أنه بالإمكان الدفاع عن الكتاب المقدس أو الكنيسة في وجه الهجوم النسوي أو الاشتراكي ليست مهمة اللاهوتيين التحريريين. ولهذا، لن يكون باستطاعتنا الحيلولة دون استخدام الكتاب المقدس في التسبب في المزيد من القهر للنساء والفقراء إذا لم يكن لدينا فهم نقدي لطبيعة دوره في إنتاج القهر، وإذا لم يتحقق ذلك سيغدو لاهوت التحرير معرضا للوقوع تحت طائلة منهج حجية النص، وإذا لم يتحر موقع الدعم والمساندة لدى اللاهوتيين التحريريين المظاهر الجائرة في تراث الكتاب المقدس، وإذا لم يقدم لاهوت التحرير على استكشاف جوانب القهر في تراث الكتاب المقدس فلن يمكننا فهم موقع الدعم والمساندة الذي يتبناه ذلك اللاهوت إلا برؤيته بوصفه عملية عقلنة لمواقف دينية و دوغماطيقية متخذة سلفا. ويقرض

موقع الدعم والمساندة لصالح المقهورين على اللاهوتيات التسويات الإصرار على ألا يكتفي التحليل اللاهوتي النقدي لتراث الكتاب المقدس بالبدء من عصر قسطنطين (Constantine)، بل يتناول وثائق الكتاب المقدس المؤسسة ذاتها.

ويرى اللاهوت النسوي النقدي، بفضل ولائه "للمهزومين في التاريخ"، أن "هرمنوطيقا القبول" التي ترى في نفسها "تحقيقا لاستمرارية تاريخ التفسير في المسيحية" لا تعد كافية، ذلك أن مثل تلك الهرمنوطيقا تغفل حقيقة أن التراث والنصوص المسيحية المقدسة يشكلان مصدرا للزيف والقمع والتسلط وليس مصدرا للحقيقة وحدها. ولأن المنظومة الهرمنوطيقية السياقية تسعي فقط إلى فهم نصوص الكتاب المقدس، فإنها تعجز عن الأخذ في الحسبان أن ماضي المسيحية وتفسيراتها قد تسببا في قهر النساء، وعلى هذا فعلى لاهوت التحرير النقدي صياغة منظومة جديدة للتفسير تأخذ مأخذ الجد روية لاهوت التحرير القائلة بأن الله يقف إلى جانب المقهورين.

وعلى تلك المنظومة كذلك أن تقبل ما تقول به اللاهوتيات النسويات من أن الله لم يشارك قط في حركة النضال من أجل حق النساء في التصويت، وأن ذلك يتيح استخدام الكتاب المقدس سلاحا ذكوريا في الصراع السياسي ضد تحرر المرأة.

نحو منظومة تفسيرية نسوية لممارسة تحريرية

لا يملك أي شكل من أشكال اللاهوت النقدي أن يتجنب إثارة قضية صدق محتوى الكتاب المقدس بالنسبة إلى المسيحيين اليوم، فعلى سبيل المثال لو وضعت اللاهوتيات النسويات في حسبانهن اللغة المتمركزة حول الرجل، والمحتوى المعادي للنساء، والمصالح الأبوية في الكتاب المقدس فلن يمكننا تجنب مسألة "المرجع أو المعايير التي تتيح لنا أن نرفض تراث القهر وأن نستشعر التراث التحريري في تاريخ الكتاب المقدس ونصوصه.

أولا: إن الكنيسة كانت دائما تعي تلك الحاجة إلى تقييم نقدي لمختلف نصوص الكتاب المقدس و تراثاته. وبينما يؤكد المنظومة العقائدية على ضرورة تقييم النصوص المقدسة بمعيار قانون الإيمان، وأن التفسير الذي يليق بها لا يتم إلا من خلال دور الكنيسة في التعليم، تهتم المنظومة التاريخية النقدية تعنى بتقييم الصدق اللاهوتي لنصوص الكتاب المقدس بحسب تاريخانيتها (historicity) أما المنظومة الهرمنوطيقية– السياقية فلم تكتف بجعل القوانين المرجعية النموذج الأولى متعدد الأشكال المجتمع المسيحي، بل أنها قد أكدت كذلك أن الكتاب

المقدس غالبا ما يقدم كثيرا من ردود الأفعال المتناقضة مع الوضع التاريخي لمجتمع بني اسرائيل أو المجتمع المسيحي.

ولأنه لا يمكن لكل ردود الأفعال تلك أن تعبر بصورة متكافئة عن وحي الكلمة في المسيحية فقد حاولت دراسات الكتاب المقدس أن تصوغ معايير لاهوتية لتقييم تراثات الكتاب المقدس المختلفة. يمكن صياغة تلك "القوانين المرجعية الموجودة داخل قوانين مرجعية أخرى". على أساس دوغماطيقي –فلسفي أو تاريخى– واقعى. ويميز بعض اللاهوتيين بين جوهر الوحى والتعبير التاريخي، بين الحقيقة السرمدية و اللغة المبنية على ثقافة ما، أو بين التراث المسيحي الثابت والتقاليد المتغيرة، و عندما تصاغ تلك القوانين المرجعية على أساس منهج المنظومة الهرمنوطيقية –السياقية، سيضع الباحثون يسوع مقابل بولس، أو لاهوت بولس مقابل الكاثوليكية المبكرة، أو يسوع التاريخي مقابل المسيح الكيرجماتي (المسيح كما يظهر في تعاليم بولس)، أو الفكر العبراني مقابل الفكر الإغريقي. وعلى سبيل المثال، بينما يتقبل شوبرت أوجدن أن يمثل التراث اليسوعي عند ماركسن (MarXsen) تلك القوانين المرجعية، يؤكد جون سوبرينو (John Sohrinn) يسوع التاريخي بوصفه معيارا للاهوت التحريري. وعلى الجانب الأخر، يتضح أنساق خوان لويس سيجندو المنهجي في تأكيده استحالة القول بأن مقولة بعينها في الكتاب المقدس تمثل ذلك المعيار، إذ إن كل مظاهر التعبير عن الإيمان التاريخية تعد نوعا من الأيديولوجيا، ويتفق خوان لويس سيجندو مع المنظومة الهرمنوطيقية –السياقية في أن عملية التفسير في إطار التاريخ المسيحي وتاريخ الكتاب المقدس هي التي يجب أن تشكل معيار لاهوت التحرير لا محتوى ذلك التفسير. ولكن تلك الرؤية المقترحة لا ترى أن هذه العملية التي يعبر بها عن الإيمان في موقف تاريخى ما يمكن لها هي الأخرى أن تقع قيد التزييف وأن تخدم مصالح قمعية.

وهكذا، لا يرى لاهوت التحرير النقدي أن الكتاب المقدس أو الإيمان القائم عليه هما عملية تعلم شاملة في الأيديولوجيا ومن خلالها، ولا أنهما "المعيار الذي يشكل ولا يتشكل"،[٢٧] ولكنه يصر على اعتبارهما مصادر موجودة إلى جانب مصادر أخرى. وقد أكد جيمز كون، تلك الفكرة حين أشار إلى أن الكتاب المقدس، بالإضافة إلى موقعنا وتجربتنا التاريخيين، من مصادر اللاهوت. ولكننا نجد الأساس المعياري للاهوت عند السود متمثلا في "**يسوع المسيح الأسود الذي يمثل الروح اللازمة لتحرير السود**" ... "إنه جوهر البشارة المسيحية".[٢٨]

وأجدني أتردد في القول بأن يسوع المسيح النسوي هو المعيار المرجعي، إذ إننا لن نستطيع القيام بتحديد ملموس لماهية ذلك المسيح النسوي إذا كنا لا نرغب في تحويل المسيح إلى شفرة شكلية أو في اللجوء إلى الصوفية، ذلك هو الطرح الذي يقدمه جون سوبرينو الذي يرى بدوره أن يسوع التاريخي هو معيار الحقيقة، لأن "**الوصول إلى مسيح الإيمان يأتي من خلال اقتفاننا يسوعا التاريخي**".[٢٩] ولكن مثل هذا التصور عن معيار العقيدة المسيحية المرجعي يفترض أنه بإمكاننا أن نعرف يسوع التاريخي و أن نحاكيه، ما دام ليس بإمكاننا اتباع يسوع بشكل فعلي. وعلى اللاهوتية النسوية كذلك أن تثير التساؤلات فيما إذا كان بالإمكان اتخاذ يسوع الناصرى، الرجل التاريخي، مثلا أعلى للنساء المعاصرات، إذ إن التحرر النسوى العلمنفسي يؤكد ضرورة أن تتحرر النساء أنفسهن من كل المعايير والنماذج الذكورية المختزلة.

ثانيا: أرى أنه لا يمكن استخلاص القوانين المرجعية والمعايير المستخدمة في تقييم تراث الكتاب المقدس وتفسيراته اللاحقة من الكتاب المقدس نفسه، أو من عملية التعلم داخل الأيديولوجيا ومن خلالها، وأننا لن نتمكن من خلق تصور لها إلا من داخل و من خلال نضال النساء وكافة المقهورين من أجل التحرر. ولا يمكن أن تكون تلك العملية "أبدية ومطلقة"، بل ينبغي أن تكون محددة ومستقاة من تجربة خاصة في القهر والتحرر. وينبغي إبقاء موقع الدعم والمساندة في لاهوت التحرير عند مرحلة التقييم النقدي لتراث الكتاب المقدس ونصوصه، كما ينبغي أن نجعل من تجربة القهر والتحرر المطروحة بشكل شخصى و سياسى معيارا للحكم على مدى ملاءمة" تفسير الكتاب المقدس لكل العصور.

إن الفهم الهرمنوطيقي الذي لا يكون موجها نحو تحقيق استمرارية تاريخ الكتاب المقدس فقط، بل يسعى كذلك نحو تقييم نقدى له هو الذي سيكشف ويرفض تراثات الكتاب المقدس ولا هوتاته التي تشجع على العنف والعزل القسري والقهر، وفي الوقت ذاته يجب أيضا على هذه الهرمنوطيقا النقدية أن تعين جوانب تراث الكتاب المقدس التي تبرز تجارب المؤمنين ورؤاهم التحررية. إن مثل تلك الهرمنوطيقا توضح الرؤية الأخروية للحرية و الخلاص، وتؤكد أهمية تحقيق تلك الرؤية تاريخيا عند جماعة المؤمنين.

وعليه، فإن التفسير النسوي اللاهوتي للكتاب المقدس، الذي يتخذ من تحرر النساء من البنى والمؤسسات القهرية المنحازة ضد المرأة ومن القيم المختزنة مرجعا له، إنما يؤمن بأن سلطة الوحي الكتابي اللاهوتية يجب أن تمنح فقط لجوانب تراث الكتاب المقدس غير المنحازة جنسيا و غير المتمركزة حول الذكورة، وللتراث غير القمعي في تفسير الكتاب المقدس، ذلك إذا كنا لا نرغب في أن يستمر استخدام الكتاب المقدس أداة لقهر

النساء، ويتطلب الموقع الدعم والمساندة ألا نخلع أية مصداقية أو سلطة معاصرة على الجوانب القمعية و المدمرة في أشكال تراثات الكتاب المقدس، وهي أشكال لم تكن لها أية شرعية في أي وقت من الأوقات. ويجب تبني تلك الهرمنوطيقا النقدية بوصفها منهجا لدراسة كافة نصوص الكتاب المقدس وسياقاتها التاريخية، كما ينبغي أن تكون منهجا لدراسة تاريخ تفسير تلك النصوص، حتى نتمكن من تحديد مدى مساهمة تلك التراثات والتفسيرات في إنتاج القير الأيوي للنساء. وعلى المنوال ذاته، يتعين على تلك الهرمنوطيقا النسوية النقدية أن تعيد اكتشاف جوانب تراث الكتاب المقدس وتفاسيره التي استطاعت تخطى سياقاتها الثقافية القمعية بالرغم من وجودها متضمنة داخل ثقافة أبوية. وينبغي ألا نفهم النصوص وجوانب التراث تلك بوصفها معايير أو أفكارا لاهوتية مجردة، ولكن بوصفها ردود فعل عقائدية على ظروف قمعية تاريخية واقعية. على سبيل المثال، جعل الفكر النسوي المسيحي على مر القرون من الرسالة إلى أهل غلاطية ٢٨: ٣ وثيقته المؤسسة، بينما استخدمت الكنيسة الأبوية الرسالة الأولى إلى أهل كورينثوس ١٤ أو الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٢ لقهر النساء ثقافيا ودينيا.

ثالثا: إن فكرة أن الكتاب المقدس لا يعد فقط مصدر الحقيقة و العقيدة ولكنه أيضا مصدر العنف والتسلط هي فكرة أساسية في لاهوت التحرير. وتتطلب تلك الفكرة نموذجا توليديا جديدا التفسير الكتاب المقدس لا يرى في الكتاب المقدس نموذجا مثاليا (archetype) ولكن نموذجا أوليا (prototype).

"يكشف التعريف القاموسي للكلمتين عن فرق مهم بينهما، فبينما تشير "كلمتا أنموذج مثالى و نموذج أولى إلى "نماذج أصلية" (original models)، فإن النموذج المثالي "يفهم على أنه في الغالب شكل مثالي يؤسس لنسق ثابت" ... ولكن، ... النموذج الأولى نسق غير ملزم وغير سرمدى، فهو نسق مفتوح نقديا على احتمالية بل وضرورة تطورد. ويؤدي التفكير من خلال النماذج الأولية إلى ترخنة الأساطير (historicising Tryth). وبما أن المنظومة الهرمنوطيقية السياقية تجعل هدفها تبلى واستخدام تاريخ الكتاب المقدس وصدقه والاستعانة بهما، وليس نقده أيديولوجيا، فعلى اللاهوتيين التحريريين صياغة نموذج توليدى نقدي جديد لتفسير الكتاب المقدس. وقد أشار تى اس كون إلى أن تلك المنظومة العلمية الجديدة سوف تخلق بالضرورة روا أخلاقية جماعية علمية جديدة و مجتمعا جديدا.

وتسمح المنظومة الهرمنوطيقية –السياقية التاريخية بصياغة موقع الدعم والمساندة من داخل الدائرة الهرمنوطيقية وجعله افتراضا يمكننا من طرح الأسئلة، ولكنها تعترض عليه بوصفه مبدأ أو وجهة نظر قاطعة. وعلى المنظومة

النقدية الجديدة أن ترفض تلك النظرية لأنها ذات صبغة أيديولوجية. وفي المقابل، عليها أن تؤكد على ضرورة أن يتحمل جميع اللاهوتيين و مفسري الكتاب المقدس مسئولية آرائهم على الملأ، ينبغي أن يصبح لزاما على كافة الباحثين من الناحية المنهجية أن يناقشوا بوضوح افتراضاتهم المسبقة وولاءاتهم وأدوارهم داخل السياق اللاهوتى – السياسي، وبصفة خاصة هؤلاء الباحثين الذين يدعون تجردهم من اعتبارات القيمة فيما يقدمونه من نقد للاهوت التحرير. لم يعد بمقدور الباحثين الادعاء بأن ما يقومون به هو أمر المنفصل" كل الانفصال عن المصالح السياسية. وبما أننا دائما ما نفسر الكتاب المقدس والإيمان في المسيحية من موقع داخل التاريخ، فينبغي كشف النقاب عن أن الحيادية والبحث المنزه عن الميول ما هما إلا "خيال" أو "وعي زائف" يخدم مصالح سياسية محددة. كذلك، يتعين على التفسير اللاهوتي أن يتناول الافتراضات السياسية المسبقة والمعاني المتضمنة في "الكلاسيكيات" اللاهوتية والأنساق الدوغماطيقية أو الأخلاقية تناولا نقديا تامليا، بمعنى آخر، يجب التعمق في البحث في التراث المسيحي ككل، وليس فقط في محتوى الكتاب المقدس و عملية تأسيس التراث بداخله، ومن ثم الحكم على ما إذا كان له دور في قهر البشر أو تحريرهم.

وأخيرا يجب ألا نفهم موقع الدعم والمساندة، بوصفه محددا أو معيارا لتقييم نصوص الكتاب المقدس ووظائفها السياسية، على أنه مبدا مجرد وشكلاني، يتعين على أشكال لاهوت التحرير النقدي المختلفة أن تصوغ نماذجا كاشفة محددة لها القدرة على التحليل الكافي لبني القهر المعاصر والياته ولحركات التحرر. فمن ناحية، يخدم الفهم المغرق في التعميم للقهر والتحرر أهداف الأنساق القمعية التي لا تقدر على قبول تحليل نقدي لآلياتها و بناها القمعية المتعسفة، بينما يحول ذلك الفهم في الوقت ذاته دون صياغة أهداف و استراتيجيات محددة للنضال من أجل التحرر. و على الناحية الأخرى، يحول الفهم المغرق في الخصوصية للقهر والتحرر دون تحقيق التضامن داخل الجماعات الواقعة تحت القهر التي قد تتجع الأنساق القائمة في ضربها بعضها ببعض. وهكذا، يجب أن يصوغ "موقع الدعم والمساندة"، بوصفه المحدد أو المعيار التفسير الكتاب المقدس، لاهوثا تحريريا نقديا يدعو إلى التضامن بين كافة الواقعين تحت القهر، في الوقت الذي يتيح فيه صياغة نماذج لاهوتية كاشفة للقهر والتحرر.

وختاما: من الضروري أن يتخلى اللاهوتيون التحريريون عن المنظومة الهرمنوطيقية– السياقية في تفسير الكتاب المقدس، وأن يصوغواء من داخل سياق لاهوت نقدى تحريرى، منظومة جديدة للتفسير تكون غايتها الممارسة التحررية. وتتخذ تلك المنظومة العلاقة النقدية بين النظرية والتطبيق، وبين نصوص الكتاب المقدس وحركات

التحرر المعاصرة منهجا له. ويجب أن ينتج تلك المنظومة الجديدة للممارسة التحررية نماذجا تفسيرية كاشفة جديدة قادرة على تفسير وتقييم تراثات الكتاب المقدس ووظيفتها السياسية في التاريخ في إطار قوانينها المرجعية التحريرية ذاتها.

الهوامش

١- Adrienne Rich, "Towards a Woman-Centered University." in Women and the power to Change, ed. Florence Howe (New York: McGrow-Hill), pp. ٤٦-١٥.

٢- انظر/ي على سبيل المثال:

Lisa Lghorn in M, Roolkowsky, Whic Rectly Starts Worleri and World Hunger (New York: Friendship Press, ١٩٧٧).

و كذلک:

Diane E. Nichole Russel and N. Van de Ven, eds.. Crimes against Women: Proceedings of the diss, International Tribunal (Millbrae, Calif.: Les Femmes, ١٩٧٦.

٣- انظر/ي على سبيل المثال :

Gustavo GuitirTez, A TWrecology of Liberation (Maryknoll, N, Y.: Orbis Books١٩٧٣،

حيث يقول: "سوف تتمركز روحانية التحرر حول التحول نحو الجار، الشخص المقهور، الطبقة الأجتماعية المستغلة، العرق المزدرى، الدولة الواقعة تحت السيطرة. إن تحولنا نحر الرب يعني ضمنيا تحولنا نحو الجار"، ومقارنة ذلك بوصف التحول النسوي الذي تقيمه جودث بلاسكوف: Juicdith Plaskow, Set, Sir, arad Grace: Women's Experience and the Theologies of Reinhold Niebuhr and Paul Tillich (Washington, D. C.: University Press of America. ١٩٨٠, ١٦٢-١٧١.

٤- Robert McAfee Brown, Theology in a New Key: Responding to Liberation Themes (Philadelphin:") Westminster, ١٩٧٨, ٨٢.

٥- Vine Deloria, "A Native American Perspective on Liberation," in Mission Trends No. ٤: Liberution Theologies, ed. Gerald H. Anderson and Thomas F. Stransky (New York: Paulist Press, ١٩٧٩). ٢٦١-٢٧٠

٦- انظر ى مقالتى:

Worrien in Early Christianity: Methodological Considerations," in Critical History and Biblical Faith in New Testament Perspectives, ed. T.J. Ryan (Villanova, Pa.: Catholic Theology Society Annual Publications, ١٩٧٩), ٣٠-٥٨

٧- لمناقشة مطولة حول الدراسات في هذا المجال، انظر/ي مقالتي:

For the sake of Curr Salvation ... Biblical Interpretation as Theological Task." in Sin, Salvation, and the Spirit, ed., Daniel Durken (Collegeville, Mino.: Liturgical Press, ۱۹۷۹), ۲۱-۳۹.

۸- Lee Cromie. "The Termeneutical Privilege of the Oppressed: Liberation Theologies, la Biblical Faith, and Marxist Sociology of Knowledge." Proceedings of the Catholic Theolngical Society of America :(۱۹۷۷) ۳۲

۹- Schubert M. Ogden, Faith and Freedom: Towards a Theology of Liberation (Nashville: Abingdon, ,۱۱٦ .۱۹۷۹

۱۰- James H. Cone, God of the Oppressed (New York: Seabury, ۱۹۷۵). ۵۱-۵۲)

۱۱- Charles H. Strain. "Ideology and Alienation: Theses on the Interpretation and Evaluation of Theologies of Liberation," Journal of the American Academy of Religion (hereafter JAAR) ۱۹۷۷: ٤٧٤.

۱۲- Thomas S. Kuhn, The Structure of Scientific Revolutions (Chicago: University of Chicago Press, ۱۹٦۲):٤٥

۱۳- للتعرف على تطور هذه النماذج المولدة، أنظر/ی مقالتی: "For the sake of Or Salvation"."، وللتعرف على التحول المنظومي العام في دراسات الكتاب المقدس، انظر/ي أيضا:

Walter Wink. The Bible in Hairan Transformation: Toward a New Paradigm for Biblical Studies (Philadelphin: Fortress, ۱۹۷۳),

۱٤- James Barr, fundamentalism (Philadelphia: Westminster, ۱۹۷۸) ٤٩.

۱۵- Word, Spirit, and Power: Women in Early Christian Communities." in Women of this Spirit, ed., Rosemary Radford Ruether and Eleanor McLaughlin (New York: Simon and Schuster.

۱٦- Edward Schillebeeckx, The Understanding of Faith (New York: Seabury, ۱۹۷٤), ۱۳۰.

۱۷- هذا الجزء بأكمله مبني على تحليل خوان لويس سيجندو

Juan Luis Segundo, The Liberation of Theology (Maryknoll, N.Y.: Orbis Books, ۱۹۷٦).

۱۸- Segundo, The Liheration of Theology, p.۸

۱۹- المرجع السابق، ص ۱۱۰

۲۰- المرجع السابق، ص ۱۷۹

۲۱- Elizabeth Cady Stanton, The Woman's Bible, American Women Series: Image and Realities, ۲ vol. In ۱; reprint of ۱۸۹۵ed. (NewYork: Arno

۲۲- Barbara Welter. "Something Remains to Dare: Introduction to the Woman's Bible." in The Original Feminist Attack on the Bible (The Woman's Bible), by E. Cady Stanton, facsimile ed. (New York: AIIO. ۱۹۷٤). p.xxii

۲۳- Stanton, The Woman's Bible, .۱-۹

۲٤- المرجع السابق، ۱۱-۷ و ما يليها

۲۵-المرجع السابق، ۱۲-۱

۲٦- Where Hunger Is, God Is Not" The Witness ٥٩(April ١٩٧٦): ٦

۲۷-لمطالعة المزید حول معنی هذا التعبیر، أنظر/ی:

Theological Classics in Contemporary Theology Digest ٢٥(١٩٧٧): ٣٤٧-٣٥٥,

۲۸- James H. Cone, Liberation: A Black Theology of Liberation (Philadelphia: Lippincott, ١٩٧٠

۲۹- John Sobrino, "The Historical Jesus and the Christ of Faith." Cross Currents ۲۷ (۷۸/۱۹۷۷)

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

کاربست هرمنوتیک زنانه‌نگر در تأویل کتاب مقدس

الیزابت شوسلر فیورنزا

مترجم: سمیه السادات طباطبائی

چکیده:

بحث درباره پیوند الهیات لیبرال با تفسیر کتاب مقدس به طور کلی، و پرسش از کارکرد کتاب مقدس در مبارزه زنان برای رهایی به طور خاص، همچون پا نهادن به میدان مین فکری و عاطفی است. باید تضادهایی چند را کشف و آشکار کرد: تضاد میان تفسیر تاریخی و الهیات روشمند، پژوهش علمی عاری از جهت‌گیری و پژوهش‌های «جانب‌دارانه»، پیش‌ادعاهای جهانی–عینیت‌گرای الهیات دانشگاهی و انتقاد متعصبانهٔ الهیات لیبرال. تلاش برای انجام این مهم در یک مقاله کوتاه، خواه ناخواه، ساده‌سازی و در عین حال گونه‌شناسی مجموعه پیچیده‌ای از مسائل الهیاتی را در پی خواهد داشت.

طرح موضوع معنا و اقتدار معاصر کتاب مقدس از منظر الهیات فمینیستی، و انجام این کار از موقعیت به حاشیه رانده شده یک زن در فضای دانشگاهی، به مانند تهدید از سوی سه خطر است. متکلمان و مفسران دانشگاهی چنین تلاشی را غیرعلمی، جانبدارانه و بیش از حد مشروط به سؤالات معاصر و در نتیجه غیرتاریخی دانسته و آن را رد خواهند کرد. یا از پذیرش آن به عنوان یک سؤال جدی تفسیری یا کلامی به دلیل طرح موضوع توسط یک زن سر باز خواهند زد. متألهان لیبرال و سیاسی نیز، در بهترین حالت، چنین تلاش الهیاتی فمینیستی را مسأله‌ای در ضمن دیگر مسائل طرح‌شده از سوی فمینیست‌ها دانسته، یا در بدترین حالت آن را مسأله «طبقه متوسط» قلمداد می‌کنند؛ یعنی موضوعی که از مبارزه مردم ستمدیده دور است.

کلیدواژگان: هرمنوتیک؛ نقد زنانه‌نگر؛ تفسیر کتاب مقدس.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

Towards a Feminist Biblical Hermeneuties: Biblical Interpretation and Liberation Theology

Elisabeth Schuessler Fiorenza
Translated by Somayyeh Al-Sadat Tabatabaei[۲]

Abstract

To discuss the relationship between liberation theology and biblical interpretation in general, and to ask for the function of the Bible in the struggle of women for liberation in particular, is to enter an intellectual and emotional minefield. One must detect and lay bare the contradictions between historical exegesis and systematic theology, between value-neutral scientificinquiry and "advocacy" scholarship, between universal-objectivist preconceptions of academic theology and the critical partiality of liberation theologies. To attempt this in a short paper entails, by necessity, a simplification and typologization of a complex set of theological problems.

To raise the issue of the contemporary meaning and authority of the Bible from a feminist theological perspective, and to do this from the marginalized position of a woman in the academy, is to expose oneself to triple jeopardy. Establishment academic theologians and exegetes will reject such an endeavor as unscientific, biased, and overly conditioned by contemporary questions, and therefore unhistorical, or they will refuse to accept it as a serious exegetical or theological question because the issue is raised by a woman. Liberation and political theologians will, at best, consider such a feminist theological endeavor as one problem among others, or at worst, label it as "middle class" and peripheral to the struggle of oppressed people.

Keywords: Hermeneutics; feminism; Bible Interpretation.

[۲] Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Kosar university of Bojnord